

9

قصص المبشرون بالجنة

سليمان العناني

رجل من
أهل الجنة

دار الطائفة

الطبعة الأولى: ١٤٢٥ هـ

رجل من أهل الجنة

(سعد بن أبي وقاص)

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَإِنْ جَاءَكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ وَآتَى سَبِيلَ مَنْ
أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}

[لقمان : 15]

هذه الآية الكريمة حكاية - فقد نزلت في موقف [أسأى
نادر .. قد يكون الوحيد في تاريخ البشرية ...

فما هي هذه الحكاية ؟ - ومن هو بطلها ؟

بطل الحكاية صحابيٌ جليلٌ من صحابة الرسول عليه
السلام - هو (سعد بن مالك الزهري) والمعروف باسم
(سعد ابن أبي وقاص) الذي تحدث عن نفسه فقال :

"أني على يومٍ ، وأني قُلتُ الإسلام" ..

وهذا يعني أنه كان ثالثَ أول ثلاثة رجل دخلوا الإسلام

والأغنياء وصفوة قريش .. وينضم إلى قافلة الفقراء التي
يقودها الفقير اليتيم (محمد بن عبد الله) ٩٩٩

وتكون صلوة أمه فيه كبيرة .. فهذا فتاها (سعد) ينتظره
جدُّ وثرَاء ، فإذا به يهجر هذا كله ويعتق دينًا جديدًا ..

وتغضى أيام الحوار بين سعد وأمّه .. ومعها ليالي التهديد
والوعيد ..

لكن الإيمان القوى لم ينهزم أمام الوعد .. ولا الوعيد ،
ولم تجد الأم طريقًا واحدًا تهزم به إصرار ابنها .. فقد
أعلنت صومها عن الطعام والشراب حتى يرجع ابنها عما
هو فيه ، ويرتد إلى دين آباءه وأجداده ..

واستمرت الأم في إصرارها حتى تدهورت صحتها
وأشرفت على الموت ..

فاجتمع أهل (سعد) وذهبوا إليه يسألونه أن يلقى على
أمه نظرة الوداع وقد أيقنوا أن صورة الأم على هذه الحال
ستعيد للفتى (صوابه) فيرتد عن دينه لينفذ أمه ..

ولمب سعد ..

ورغم فسوة الموقف .. فإن صوت الإيمان القوى كان
يهتف في عقله وقلبه فيعطيه القوة على تحمل ما هو فيه ..
اقترب سعد من أمه .. أمسك بكفها المزيل للبرد ..
أوتعش صوته قليلا ، فقد تحركت مشاعره لجمالها .. ثم قال :
”تعلمين والله يا أمه .. لو كانت لك مائة نفس ..
فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا لشيء ..

فكلى - إن شئتو - أو لا تأكلى” ..

وألم هذا الإصرار القوي عدلت الأم عن قرارها
واقبلت على طعامها وشرايبها ، فقد اكتشفت أن (إشرايبها
عن الطعام) لن يثنى ولدها (سعد) عن قراره ..

لقد تمكن الإيمان منه وأصبح عنده أغلى من كل ما في
الحياة ، ونحية لهذا الموقف نزل الوحي الكريم يقول :

{وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا

لُطْفَهُمَا} ..

جلس النبيؐ يوما مع أصحابه .. فلذا به يتطلع إلى الأفق
وكانه يسمع ممسا .. ثم نظر إلى أصحابه وقال لهم :
"يطلع عليكم الآن رجلٌ هو من أهل الجنة" .

وبلغت الصحابةُ في كل اتجاه .. وما هي إلا دقائق حتى
أهلَّ (سعدُ بن أبي وقاص) عليهم .. فعرفوا أنه (مُبَشِّرٌ
بالجنة يذن الله) .

يُروى عن رسول الله عليه السلام ، أنه كان إذا أتى سعدُ
إلى مجلس وهو بين أصحابه داعب (سعدًا) قائلا ..
(هذا خالي .. فليرني امرؤ حاله) .

نعم .. كان سعدُ بنُ أبي وقاص في مكانةٍ الحبيب للنبي
الكريم فجنه أُميرُ بن مناف هو عمُ السيدةِ آمنَةَ بنت
وهب أم رسول الله .

كان سعدُ بن أبي وقاص هو أولُ من رمى سهمًا في
سبيلِ الله ، فقد خرج علي رأسِ سريةٍ من سراها التي
بعث بها النبيؐ بعد الهجرةِ إلى المدينةِ للشكر من قريش

باعتراض قوافلها .. وعندما التقى المسلمون بمجلى هذه
القوافل .. رمى سعدُ سهما من قوسه (فكأن أولَ من رمى
إلى الإسلام) ..

.. أما أنه الوحيد الذي افتداه الرسول بأهويه ، فقد كان في
غزوة (أحد) وقد انقلب ميزان الحرب على المسلمين بعد
أن كانوا قد انتصروا ، لكن مخالفة بعضهم لأوامر النبي
جعلت (قريشاً) تنتهز الفرصة فتعود لتثار هزيمتها .. وسلا
الفرج في صفوف المسلمين ، وأشاع البعض أن النبي قد
قُتل ..

والتفت كوكبة من خيرة الصحابة حول الرسول تدافع
عنه وعن دينها منهم (سعد بن أبي وقاص) يقف إلى
جانب النبي يرمي بالنبل وكان الرسول يتأوله ويقول :
"أرم .. فذاك أبي وأمي" ..

ولم تكن هذه فقط هي بطولات (ابن أبي وقاص)
الحربية .. فقد عرف عنه الشجاعة والقدر القتالية الفذة

طيلة حياته ، يدفعه إلى ذلك يقينه الصلب ، وإخلاصه العميق وإيمانه الصادق بدينه وبرسوله ..

كان بطلاً في (بدر) .. وفي (أحد) .. وفي كل الغزوات الأخرى ، فعرف الصحابة عنه هذه القسوة القتالية الفريدة ..

كان يوماً حاسماً في تاريخ الإسلام .. هذا اليوم الذي اجتمع فيه رأى أصحاب (الشورى) على ألا يقود الخليفة (عمر بن الخطاب) الحملة الكبرى ضد (الفرس) وكان الخليفة قد أخذ قراره هنا بعد أن شمر بظفورة الهجمات المسلحة المتكررة من جانب الفرس على المسلمين ، كما تضاعف عنده إحساس الخطر بعد أن تراجع بعض أهل العراق عن عهودهم ومواثيقهم مع خليفة المسلمين في المدينة ..

ونزل الخليفة عمر بن الخطاب عن قراره أمام إصرار (الجماعة) ثم سألهم عن يختارون هذه المهمة .. وساء

صمتٌ طويلٌ .. المسئوليةُ كبيرةٌ ولا بد أن يكون الاحتياطُ
محسوباً ..

وجاء صوتُ الصحابي (عبد الرحمن بن عوف) ليقطع
هذا الصمتَ ويشرحَ اسمَ القائد الذي اختاروه ..

"الأسد في برائته" ..

واختلطت المهمات تحمل سؤالاً واحداً ..

من هو المقصودُ بهذا الاسم "الأسد في برائته" ..

قال عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ (سعد بن مالك الزهري) .

وصلحُ الجميعُ في صوت واحدٍ .. نعم هو لها . (سعد بن
أبي وقاص) .

إن جيشَ المسلمين لا يزيد على ثلاثين ألف مقاتل
مسلحين بسلاح بسيط .. مجرد سيوف ورماح ..

بينما كان جيشُ الفرس يزيد على مائة ألف من
القائِلين المدربين والمزودين بأسلحة ومعدات ليس للعرب
معرفةٌ بها ، كان على رأسهم القائد المشهود له (رستم) ..

فمن هو القائد العربي المسلم الذي يتحمل مسئولية
هذه المواجهة ؟؟ ..

إنه "الأسد في برائه" .. إنه (سعد بن أبي وقاص) ..
الذي خرج على رأس جيش المسلمين متوجها إلى لقاء
الفرس عند (القلاسية) ..

في كل يوم كان رسول (خليفة رسول الله) يصل إلى سعد
حاملًا النصيح والتوجيه ..

- "يا سعد بن وهيب .. لا يقرنك من الله أن قيل :خل
رسول الله وصاحبه ، فإن الله ليس بينه وبين أحدٍ نسبٌ إلا
بطاعته .. والناسُ شريفهم ووضيعةُهم في ذات الله سواء ..
الله ربهم وهم عباده .. يتفاضلون بالعاقبة ويدركون ما عند
الله بالطاعة .. الأمر الذي رأيت رسول الله عليه السلام منذ
بعث إلى أن فارقنا عليه ، فالزمه ، فإنه الأمر ..

اكتب إلى جميع أحوالكم .. وكيف تنزلون .. وابن يكون
عدوكم منكم .. واجعلني كأي أنظر إليكم" ..

ويرسل سعد إلى الخليفة (عمر) أن (يرستم) قائد الفرس
قد جمع خيوله تتقدمها الفيلة ، ووقف قبالة جيش
المسلمين . فإرد (عمر) : (لا يكره لك ما تسمع منهم ، ولا
ما يأتونك به ، واستعن بالله وتوكل عليه ، وأبعث إليه
رجلاً من أهل النظر والرأى والجَلَد يدعوته إلى الله ..) .

ويذهب وفد المسلمين إلى معسكر الفرس يلتقى
(برستم) ثم يعود بإجابة قائد الفرس - إنها الحرب . يا
الله - إنها اللحظة التي يتمناها (الأسد في برائه) أن
ينطلق بسبعه (يعون من الله) لينقض على (عبادة النار) ..
إنها فرصة كي يعطي صهوة جواده ويصوّل ويبحول وسط
هؤلاء المتكبرين ، ويعلى كلمة الحق وينصر شعائر الله
أكبر) ..

لكن .. لكنه المرض اللعين يذاهم الفلوس في يوم كان
يراه يوم غرسه فيعرق نشاطه ويحد من حركته .

لا بد أنها حكمة إلهية ألا يشارك (سعد بن أبي وقاص)

في أهم المواقع الحربية في التاريخ الإسلامي رغم أنه كان
قائد الجيش ..

وتلور حتى الحرب ، وترجع كفة المسلمين رغم أن كفة
العدو كانت هي الأرجح عددًا وعدة .. لكن الإيمان الراسخ
والاستهانة بالروح والنفس جعل في ساعد كل مسلم
كتيبة محاررين ..

ويُقتل قائد الفرس (روستم) الذي كان أسطورة قومو ..
ويخضع قرابة عام على نصر المسلمين في موقعة القلاسية ..
والفرس يحاولون مرة أخرى جمع قلوبهم وتنظيم صفوفهم
عليهم يقدرون على مواجهة هذا الطوفان الفاتر القادم من
الجزيرة العربية .. فيتحصنون بعاصمتهم (نهلوند) ..

ويقرر (سعد) استكمال رسالته وهدفه الأول وهو (إطفاء
النار المبرقة) وإعلاء كلمة الله الحق ..

ويقف نهر (هجلة) مانعًا مائيًا ضخمًا لم يعرف العرب
التعامل معه من قبل ..

هنا تتجلى العبقرية العسكرية للقائد (سعد بن أبي وقاص) فقد اختار موقعا ليس عميقا .. ثم جهز كتيبتين على رأس كل منهما قائد شجاع وكلفهما بعبور النهر في البداية لتأمين عبور بقى قوات الجيش .. ثم كان العبور الكبير ..

انطلقت صيحة (ابن أبي وقاص) .. حسبنا الله ونعم الوكيل ، وقفز بجواده إلى مياه (دجلة) فتبعه جنوده يهطلون ويكبرون حتى اكتمل عبورهم ووصلوا إلى (نهوند) ..

كان أمرا حتميا أن يقول سعد بن أبي وقاص (لمرة العراق) .. وهتك أثار دفة التعمير وأرسي قواعد الدين الحنيف مؤسسا مجتمعا إسلاميا كامل الأركان اجتماعيا ، واقتصاديا ، وعسكريا ..

عاد سعد بن أبي وقاص إلى المدينة ، وفضل البقاء هناك إلى جانب الخليفة عمر .. وغيره من صحابة رسول الله يعطى المشورة إذا طُلب منه ذلك في أمور السياسة والحكم ..

إلا أن (سعدا) لم يشارك فيما ظهر على سطح الحياة
الإسلامية من خلاقات ونزاعات وصل بعضها إلى حد
القتال (كما في الفتنة الكبرى بين الإمام (علي) ومعوية
ابن أبي سفيان) ..

ولما حضره الموت وكان جاوز الثمانين استقبله بروح
الرجل القوى الإيمان ، الشديد التقوى الواثق من رحمة
ربه ، وكيف لا وهو صاحب بشارة رسول الله بالجنة ؟ ...

ولما شعر بدنو أجله طلب من أهله أن يأتوا إليه بشوب
قديم بال كان يحفظه في مكان آمن وأمر أن يكفونه به ..
وقال :

(لقد لقيت المشركين فيه يوم (يذر) .. ولقد ادخرته لهذا
اليوم) ..

ها هو ذا الرجل يجتاز ثوب عُرْس الذي يريد أن يُزَفَّ به
إلى جنات النعيم ..

ثوب الجهاد في سبيل الله .. ثوب الشرف الذي مزقته

الرمح .. وهتكته السيوف ..

هذا هو الثوب الذي اختاره (سعد) كي يلقى فيه ربه ..

شهادة من الدنيا تزكيه في الآخرة .. وهو الغنى عن هذه
الشهادة ..

فهو الغافل : (إن الله لا يعذبني أبداً .. إني من أهل
الجنة) ..

بكي المسلمون (سعداً) كما لم يبكوا أحداً منذ ودّعوا
رسول الله ..

فقد كان سعداً هو آخر من بقي من المهاجرين .. وبوفاته
طوى التلويعُ صفحةً مضيئةً من الحبة ..

صفحةً حروفها تقوى الله ، وكلماتها الإيمان الحق ،
وسطورها الجهاد في سبيل الله ..